المحاضرة رقم (1): مدخـــــل عام

تمهيد: يهتم علم الاجتماع بدارسة الظواهر الاجتماعية سواء كانت سوية أو مرضية، وبما أن محل الدراسة هو المجتمع والجماعة الإنسانية فإن أي نشاط يصدر عنه يكون محل بحث ودراسة من طرف الباحثين في علم الاجتماع؛ وإذا كان النشاط الاقتصادي هو أحد أهم النشاط التي يقوم بها المجتمع كان على المختص في علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية معرفة وإدراك العلاقة العلمية التي تجمع بين علم الاجتماع وعلم الاقتصاد حيث تعتبر الظواهر الاقتصادية محل اهتمام الثاني، لهذا نحاول في متن هذه المحاضرة التعرف على علم الاقتصاد ومعرفة علاقة الأخير بالعلوم الإنسانية الأخرى.

1ـتعريف علم الاقتصاد:

قبل تعريف علم الاقتصاد علينا أولا البحث في كلمة الاقتصاد وهي تعود إلى كلمةEconomics وهي " مشتقة من الكلمتين اليونانيتين Ecos ايكوس وتعني منزل وNomos وتعني قانون ، أي كلمة اقتصاد تعني قانون المنزل أو اقتصاد المنزل" (صخري ع.، 2007، صفحة 1)

أما علم الاقتصاد فهو العلم الذي يهتم بمختلف أشكال النشاط الاقتصادي، وفي الحقيقة هناك العديد من التعريفات لعلم الاقتصاد انطلاقا من كتابات آدم سميث حول ثروة الأمم وغيرهم من الباحثين في الاقتصاد والاقتصاد السياسي, حيث عرفه آدم سميث في مؤلفه المشهور ثروة الأمم بأنه " هو دراسة الأنشطة التي تنطوي على تبادل المعاملات بين الأفراد " وهو أيضا العلم الذي يهتم بدراسة النشاط الانساني في سعيه المستمر لاشباع حاجاته المتعددة والمتزايدة باستخدام الموارد المتاحة والمحدودة.

هو العلم الذي يعتمد على دراسات علمية تهتم بالبحث عن طريقة تحقق توازنا بين الموارد النادرة وحاجات الناس غير محدودة من هذه الموارد." (عبد الله ، 2013،

صفحة 7) الواضح أن هذا التعريف يشير بشكل مباشر إلى مشكلة الندرة كبؤرة اهتمام المختصين في علم الاقتصاد .

وقد عرف علم الاقتصاد الاقتصاد الأمريكي بول ساموبلسونPaul Smulson بأنه"" دراسة كيفية اختيار الأفراد أو المجتمع،استخدام الموارد المنتجة في انتاج مختلف البضائع عبر الزمن، ومن ثم توزيعاه على الاستهلاك الحالي والمقبل بين مختلف الأفراد والجماعات في المجتمع." *(صخري ع.، 2007، صفحة 2)*

وعليه فعلم الاقتصاد يعني بدراسة وتحليل سلوك الفرد ودوافعه في أي تصرف اقتصادي سواء تعلق الأمر بالاستهلاك، الادخار والاختيار وغيرها، وهذا بهدف الوصول إلى غاية أي علم وهو تنبؤ بسلوك الأفراد بخصوص نشاطهم الاقتصادي وكذا الأمر بالنسبة لاقتصاد الدول والمجتمعات حتى نتفادى حدوث التذبذبات.

2. علاقة علم الاقتصاد بالعلوم الأخرى:

فعلم الاقتصاد فغيره من العلوم تقاطع ويلتقي مع العديد من ميادين العلوم الاجتماعية وسوف نتاول في هذا العنصر علاقة علم الاقتصاد ببعض العلوم الاجتماعية

1. علاقة علم الاقتصاد بالقانون:

لا شك أن هناك وطيدة بين علم الاقتصاد والقانون فهذا الأخير يعني مجموعة القواعد القانونية التي تنظم حياة الأفراد والمجتمعات ، فمن خلال تلك القواعد والضوابط القانونية المنظمة لمشروع معين ، فلا يمكن القيام بأي نشاط اقتصادي إلا في اطار قانوني يسمح بذلك، فتقنين العلاقة بين البائع والمشترى؛ وتحديد طبيعة الملكية للمشروعات

الاقتصادية هي نشاط اقتصادي ولكنه محدود بإطار قانوني وتشريعات تحكمه، كذلك يتأثر مثلا نشاط الاستراد والتصدير بالقوانين الجمركية والضرائب وغيرها. وإذا كان القانون يتدخل في هذه القوانين ويضبطها فإنه بالضرورة ينعكس على النشاط الاقتصاد.

وهناك من رجال القانون من يقرون بوجود فرع القانون الاقتصادي والذي " يدرس المسائل القانونية المتعلقة بالحياة الاقتصادية ومنها على وجه الخصوص تلك المتعلقة بقانون المنافسة وقانون الصفقات العمومية وتفويضات المرفق العام " *(غراس ، 2002، صفحة 187)*

2. علاقة علم الاقتصاد بعلم السياسة:

وغالبا ما ينتج بين هذه العلاقة بين الاقتصاد والسياسة علم آخر يسمى علم الاقتصاد السياسي، فدراسة الدولة والاستقرار السياسي وغيرها وقوة الدولة هي موضوعات تكون من اهتمام علم الاقتصاد في بعض جوانبها، والواضح للعيان أن الكثير من الاضطرابات السياسية تؤثر بشكل أساسي على النشاط الاقتصاد، ويمكن تقديم مثال على الحروب التي تظهر تنعكس مباشرة على الوضع الاقتصادي للدول المتناحرة ،وبعض الدول التي لها علاقة بهذه الدول.

كما أن الدارسون للنظم السياسية المعاصرة يؤكدون الترابط بين الاستقرار السياسي من جهة والرفاه الاقتصاد من جهة أخرى) مثال أن تعاقب الحكومات وعدم الاستقرار السياسي كما عرفته الجزائر من قبل جعلها تتعثر في نموها الاقتصادي وعليه يكون من الضروري المعرفة القبلية للنظم السياسية والاستقرار السياسي لدراسة النشاط الاقتصادي.

3. علاقة علم الاقتصاد بعلم النفس:

الأكيد ان هناك علاقة واضحة بين علم الاقتصاد وعلم النفس فالأخير يهتم بمشاعر ودوافع الأفراد وبالأحرى يهتم بدراسة السلوك الظاهري والباطني للأفراد وكل ما يتحكم بدوافعه، كذا الاقتصادي يركز على مختلف أنماط النشاط الاقتصادي والذي يصدر عن طبيعة نفسية للأفراد، ونقدم مثال فرغبة الشراء والاقبال عليه تتحكم فيه أسعار السلع أو الخدمات لكن قد يتأثر الاقبال على الشراء بالدوافع النفسية والميول والرغبة أيضا ، وهو أمر في غاية الأهمية فحاليا تركز حركة التسويق وعمليات البيع على الطبيعة النفسية للأفراد والميول والرغبة .

4. علاقة علم الاقتصاد علم الاجتماع:

يدرس علم الاجتماع الظواهر الاجتماعية؛ وهو في الحقيقة يدرس السلوك الاقتصادي في نواحيه الاجتماعية، كالعلاقة بين الاستهلاك والقيم الثقافية والاجتماعية والتي تحدد طيعة الاستهلاك لبعض المجتمعات" *(داود ، صفحة 158)*، فنجد مثلا أن الدول الاسلامية في يوم عيد الأضحى تجد حركية في نشاط سوق المواشي وغيرها وتتأثر أسعار المواشي وحركية العرض والطلب عليها على خلاف دول أخرى مسيحية.

وفي المقابل نجد في الدول الغربية المسيحية والتي تمجد عيد الميلاد في رأس السنة الميلادية نجد حركية في صناعة الحلوى والشكولاطة ومختلف الهدايا غيرها من الأمور المتعلقة بمثل هذه الحفلات في نهاية رأس الميلادية والتي ترمز إلى قيم دينية وثقافية معينة.

على العموم لقد أدرك الاقتصادي بأن بعض النشاط العقلاني الاقتصادي لا يمكن تفسيره بالرجوع لعلم الاقتصاد وحده وانما يحتاج لمعرفة العلميات والحركات الاجتماعية المرافقة لتلك النشاطات الاقتصادية، لأن النشاط الاقتصادي هو نشاط الانسان الاجتماعي.

3. علم الاقتصاد وعلم الثروة:

في الحقيقة الثروة هي الغاية من كل نشاط اقتصادي ولا يمكن اعتبار أي نشاط بأنه اقتصادي إلا إذا قدم للانسان منافع بديلة ، وبالتالي فإن علم الاقتصاد هو البحث عن طبيعة الثروة وكل ما يتصل بها، مع ملاحظة، أنه يوجد اختلاف بين المنظرين لعلم الاقتصادي، فهناك من يعتبر أن الخدمات تدخل ضمن خلق الثروة وغير المادية، وفريق آخر انتهى إلى رفضها وعرفوا علم الاقتصاد بأنه علم الرفاهية المادية فقط.

والثروة هي مجموع الأشياء الضرورية والملائمة للحياة، وهناك من يرى أن الثروة لا تنحصر في النقود والأشياء المادية فقط وانما تشمل أيضا العمل وهنا يلح آدم سميث على أهمية كمية العمل ويعتبر العمل منتج للثروة المادية وغير المادية.

4. أهم مدارس الفكر الاقتصادي:

1.4. المدرسة التجارية والطبيعية :

كما يظهر على التسمية من المدرسة فإن المدرسة التجارية تركز على تفسير الظواهر الاقتصادية من خلال تحليل العامل الأساسي للقوة وبسط النفوذ هو كسب أكبر قدر من الثروة والتي تتمثل في المعادن النفيسة (الذهب والفضة) وكون أن الكمية هذه المعادن ثابتة فإن المصدر الوحيد لتعظيم الثروة يكمن **في التجارة الخارجية؛** أي من خلال زيارة الصادرات وتقليل الواردات ، ويعتقدون بأن الدولة هي الوحيدة القادرة على تحقيق المصلحة العامة للمجتمع على حساب المصالح الشخصية المتناقضة.

ولهذا يجب على الدولة ان تتدخل في فتح أسواق جديدة لتسويق الإنتاج وحماية الاقتصاد الوطني بكل الوسائل، داخليا وخارجيا، وكان الميزان التجاري من وجهة

نظرهم تعبيرا عن مدى قوة الدولة. *(متوكل، 2009، صفحة 17)***باختصار قوة النشاط الاقتصادي يكمن في قوة العلاقات التجارية الخارجية.** وتتماشى هذه المدرسة مع مرحلة النشاط التجاري وبروز التجاريين البرجوازيين، لكن مع النهضة الأوربية وانفجار الثورة الصناعية وإلى جانب **عجز المدرسة التجارية عن تفسير النشاط الاقتصادي ظهرت المدرسة الطبيعية أو ما يسمى بالمدرسة الفيزيوقراطية.**

وترتبط المدرسة الطبيعية بأعمال فرانسوا كيسناي (1694-)1774طبيب لويس الخامس عشر آنذاك وبين أهم أفكاره: ضرورة إصلاح المجتمع الذي كان لا يزال يعاني من التسلط والتمييز والطبقية ، التي كان يمارسها أصحاب الأراضي والرأسمالين الصاعدين، وبحسبه ينبغي أن نترك النشاط الاقتصادي تتحكم فيه قوانين الطبيعة دون تدخل الدولة، وقد وضع فرنسوا ما يسمى بالجدول الاقتصادي(1758) (الببلاوي، 1995، صفحة 45)الذي وضح من خلاله كيفية تدفق المنتجات من الفلاح إلى ملاك الأرض ومنهم إلى التجار وأصحاب المصانع وغيرهم، وكيف تتدفق النقود عبر مسالك متعددة عائدة إلى الفلاح" *(كيت ، صفحة 61)*

بكل بساطة فهذه المدرسة الطبيعية تؤكد على ارجاع كل الأمور للقوانين الطبيعية حتى يحدث التوازن في النشاط الاقتصادي.

2.4. المدرسة الكلاسيكية:

يرتبط اسم هذه المدرسة بالمفكر الاقتصادي آدام سميث وكتابه الشهير " بحث في أسباب وطبيعة ثروة الأمم " والمعروف بشكل مختصر ثروة الأمم " عام 1976 هكذا كان آدام سميث منشغلا بمشاكل عصره ...وكانت فلسفته أن ثروة الأمم تنمو بمعدل أسرع لو كان تدخل الحكومة في المجال الاقتصادي في أدنى حد ممكن ." *(متوكل بن عباس، 2009، صفحة 17)* ومن رواد هذه المدرسة أيضا: "دافيد ريكا David ricarوأيضا توماس روبرت مالتوس ،Malthus, Thomas Robert) "و في فرنسا "جان بابتيست ساي

"Jean baptiste say

في الحقيقة أكدت " النظرية الاقتصادية على كفاءة النظام الرأس المالي الحر في تحقيق مستوى العمالة الكاملة تحقيقا تلقائيا. غير أن ظاهرة الكساد العظيمة 1929 – 1933 التي شملت العالم الرأسمالي كانت مناقضة لتعاليم المدرسة الكلاسيكية، وهنا بدأت الثورة على الاقتصاد الكلاسيكي" (متوكل بن عباس، 2009، صفحة 43)لتظهر النظرية الاقتصادية النيوكلاسيكية.

4. 3. المدرسة الكلاسيكية الحديثة: (النيوكلاسيكية):

إذا كان الكلاسيكيون اهتموا بخلق الثروة المادية فإن النيوكلاسيكية اهتموا بخلق الناتج المادي النافع لنفسه بتحقيق أقصى نفع ممكن وهو الرفاهية التي أصبح موضوع النيوكلاسيكية. وقد ارتبط اسم المدرسة النيوكلاسيكية بالمفكر الإنجليزي المشهور (جون ميناردكينز John Maynard Keynes في كتابه (النظرية العامة للتوظيف والفائدة والنقود والذي نشر عام 1936 *(البلاوي، 1995، صفحة 126)* وهنا تم الانتقال من الاهتمام بالاقتصاد الكلي إلى الاقتصاد الجزئي؛ ونفى كينز أنه يمكن فهم وتحليل المشاكل لاقتصادية صغيرة ومعزولة عن بعضها البعض وبذلك نشأت التفرقة بين الاقتصاد الجزي والاقتصاد الكلي الميكرو والماكرو (micro / macro وبدأ الاهتمام بمواضيع جديدة مثل دراسات الدخل القومي .

خلاصة:

يعتبر الاقتصاد أساس النشاط الذي يقوم به المجتمع في حدود علاقات تبادلية بين طرفين لتلبية أو اشباع حاجات معينة ؛ مستخدما الانسان عوامل أساسية نسميها عوامل الإنتاج وأثناء نشاطه الاقتصادي فهو يصنع الثروة والتي تسبب له الرفاه الاجتماعي، والاقتصاد كعلم له مناهجه الخاصة به يرتبط بشكل أو بآخر بمجموعة

من العلوم الاجتماعية ولا سيما علم الاجتماع حيث تم توضيح هذه العلاقة بمثال نبين فيه كيف أن القيم الدينية أو الثقافية قد تؤثر على النشاط الاقتصادي.

إن التحليل الاقتصادي تأثر هو الآخر بتطور الفكر العلمي في مختلف المجلات وعرف نقلات نوعية حولنا توضيحه من خلال تناول أهم المدارس المعروفة؛ انطلاقا من المدرسة التجارية والطبيعية ، فالمدرسة الكلاسيكية ثم المدرسة الحديثة التي نقلت الاهتمام بموضوعات ومشكلات الاقتصاد من الاقتصاد الجزئي إلى الاقتصاد الكلي.

قائمة المراجع

بن عباس محمد مهلهل متوكل. (2009). *مبادئ الاقتصاد مدخل عام*. السعودية: دار مريخ للنشر.

جون كيت . (بلا تاريخ). *تاريخ الفكر الاقتصادي* . (أحمد فؤاد بليغ، المترجمون) الكويت: دار علم المعرفة.

حازم الببلاوي. (1995). *حازم الببيلاوي: دليل الرجل العادي إلى تاريخ الفكر الاقتصادي، دار الشروق بيروت ، 1995 ص 126*. بيروت: دار الشروق.

عبد الحكيم غراس . (ديسمبر, 2002). الاقتصاد والقانون : علاقة تنافر أو تجاذب"، 3. (مجلة القانون، المحرر) *مجلة القانون والعلوم البيئية، 1*(3)، 187.

عمر صخري. (2007). *اقتصاد المؤسسة*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عمر، صخري. (2007). *اقتصاد المؤسسة*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

محمد عبد الله . (2013). *أسس ومفاهيم علم الاقتصاد واقتصاديات الرعاية الصحية،*. السعودية معهد الكوادر للنمية.

محمد عبد الله. (2013). *: أسس ومفاهيم علم الاقتصاد واقتصاديات الرعاية الصحية، معهد كوادر التنمية، ص3*. السعودية: معهد كوادر التنمية.

محمد مهلهل متوكل بن عباس. (2009). *مبادئ الاقتصاد مدخل عام*. السعودية: دار مريخ للنشر.

معمر داود . (2009). *محاضرات في مدخل إلى العلوم الاجتماعية ص 158* . عنابة: منشورات جامعة عنابة.